

كُور
الحلاج والرعاية
في الإسلام

اسم الكتاب: دور العلاج والرعاية في الإسلام
تأليف: سعيد الديوه جي
الطبعة الأولى: ٢٠١٨ م - ١٤٣٩ هـ

© جميع الحقوق محفوظة

ISBN 978-614-424-246-9



الدار العربية للموسوعات

المدير العام: خالد العاني - KHALED AL ANI

الحازمية - مفرق جسر الباشا - ستر عكاوي - ط ١ - بيروت - لبنان
ص.ب: ٥١١ الحازمية - هاتف: ٩٥٢٥٩٤ ٥ ٠٠٩٦١ - ٩٥٥٦١٨ ٥ ٠٠٩٦١
فاكس: ٤٥٩٩٨٢ ٥ ٠٠٩٦١
هاتف نقال: ٣٨١٠٨١ ٧٦ ٠٠٩٦١ - ٣٨٨٣٦٣ ٣ ٠٠٩٦١ - ٥٢٥٠٦٦ ٣ ٠٠٩٦١
الموقع الإلكتروني: www.arabenchouse.com البريد الإلكتروني: info@arabenchouse.com

لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه، أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات، أو نقله بأي شكل من الأشكال، دون إذن مسبق من الناشر.

All rights reserved. No part of this book may be reproduced, stored in a retrieval system or transmitted in any form or by any means without prior permission in writing of the publisher.

كُور العلاج والرعاية في الإسلام

تأليف
سعيد الديوه جي

تقديم
أ. د. أبي سعيد الديوه جي

الدار العربية للموسوعات
بيروت

تقديم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد..

دُور العلاج والرعاية في الإسلام من الكتب التي نشرها الوالد:
سعيد الديوه چي، وكان ذلك سنة (١٣٨٦هـ/١٩٦٦م)، وقد أضاف عليها في هذه الطبعة ملاحظات كثيرة من نصوص وأقوال وتصحيح لمعلومات، وقد حاولت - وبجهود المتواضعة - أن أعيد نشرها ثانية، في وقت غابت عني مكتبة الوالد والتي أهديت بعد وفاته إلى مركز دراسات الموصل في جامعة الموصل، وللأسف الشديد فقد أحرقت المكتبة الغنية في كتبها ووثائقها ومصادرهما المتنوعة والتي كان الوالد يحتفظ بها، يقضي أكثر أوقاته فيها، جمعها منذ صغره، واحتفظ بها على نحو مرتب، وحرص عليها كل الحرص، لكن أعداء العلم والمعرفة أحرقوها، فكانت خسارة لا تعوض.

وقد وفقني الله سبحانه وتعالى في إعادة طبع غالبية كتب الوالد وما تضمنته من إضافات، ومستمر في طبع الكتب الباقية المنشورة وغير المنشورة، وهذا العنوان - وعلى صغر حجمه - فقد كانت

الإضافات فيه كثيرة رغم إحراق المصادر المطلوبة والتي معظمها كانت في مكتبة الوالد، من مخطوطات وكتب ووثائق ومصادر متنوعة.

ومن دون ريب أقول إن هناك بعض الفجوات والنواقص قد لا تخفى عن القارئ، من نقص في المصادر أو عدم الدقة في كتابة نص ما أو خطأ في الأسماء، وغيرها من الأمور، لأنني أدرك أن إعادة طباعة ونشر العناوين هذه قد لا تكون متاحة مستقبلاً، وأخص بالشكر للأستاذ الدكتور أياد الحسيني الذي تفضل بتصميم غلاف الكتاب، فجزاه الله خير الجزاء.

نأمل أن يكون الكتاب - وعلى هيئته هذه - مفيداً.

والله من وراء القصد.

أ. د. أبي سعيد الديوه جي



المقدمة

■ اهتمام المسلمين بالطب:

عانى العرب من صناعة الطب في جاهليتهم، ودعاهم إلى هذا اهتمامهم بحفظ صحتهم، وهو دافع طبيعي لكل حي، وكان لهم وقوف على بعض العقاقير والأمراض اكتسبوه من تجاربهم ومن الأمم التي اتصلوا بها، وفي لغتهم ألفاظ كثيرة لأسماء الأمراض والعقاقير والأدوية وأسماء الأعضاء الباطنية والظاهرة لجسم الإنسان، وأوصافها وأجزائها الدقيقة.

وكانوا يعالجون تارة بالعقاقير وأحياناً بالرقى والسحر والكهانة والأوهام، ومن أمثلتهم السائرة:

«داو كل امريء بعقاقير بلاده» كما كانوا يستعملون الحجامة والكي بالنار، وقد جعلوا الكي آخر الدواء.

وظهر - قبيل الإسلام - أطباء درسوا الطب في بيمارستان جنديسابور في بلاد فارس، ومهروا في فنهم، وتعاطوه في بلاد العرب وفارس.

فالحارث بن كلدة الثقفي، سافر من الطائف إلى جنديسابور،

وتعلم الطب في بييمارستانها، وجاء في الطب، وطب في أرض فارس، وحصل له بذلك مال كثير، وكانوا يقدمونه على أطبائهم، ثم اشتاقت نفسه إلى بلده، فرجع إلى الطائف واشتهر طبه بين العرب، وأدرك الإسلام، وكان رسول الله (ﷺ) يأمر من كانت به علة أن يأتيه فيسأله عن علته، وأدرك الحارث معاوية بن أبي سفيان.

ومن أطباء العرب: الشمردل الكعبي النجراني، وفد على النبي (ﷺ) مع وفد نجران، فتقدم إلى الرسول (ﷺ) وقال: «يا رسول الله بأبي أنت وأمي كنت كاهن قومي في الجاهلية، وإنني كنت أتطيب فما يحل لي؟ قال عليه الصلاة والسلام: فصد العرق، ومجسة الطعنة إن اضطررت، ولا تجعل من دوائك شراً ما، وعليك بالسنا ولا تداوي أحداً حتى تعرف داءه، فقبل ركبته وقال: والذي بعثك بالحق أنت أعلم بالطب مني».

وكان عليه الصلاة والسلام يحث المسلمين على مراجعة الأطباء والاستفادة من خبرتهم، وحرّم الشعوذة والدجل وإتيان الكهان، وعدّ هذه الأمور من الكبائر، فهي كفر محض.

دخل رسول الله (ﷺ) على مريض يعود فقال: أرسلوا إلى طبيب، فقال قائل: وأنت تقول ذلك يا رسول الله؟ قال: نعم، إن الله (ﷻ) لم ينزل داءً إلّا وأنزل معه دواءً^(١).

وقد جعل النبي (ﷺ) تعلم الطب من فروض الكفاية، بحيث

(١) ابن الجوزي، عبد الرحمن، الطب النبوي، مصر، (١٣٧٧هـ/١٩٥٨م)،

يجب أن يكون في الأمة من يعاني هذه الصناعة، ليحفظ صحة الناس، وإذا ما فقد هذا العلم، فإن الإثم يقع على كافة المسلمين.

جاء أعرابي وسأله: أنتداوى يا رسول الله؟ قال (ﷺ): نعم يا عباد الله تداووا، فإن الله لم ينزل داءً إلا وأنزل معه شفاءً، علمه من علمه، وجهله من جهله.

وجاء في الأثر أن الامام الشافعي قال: العلم علمان، علم الأبدان وعلم الأديان، وكان رسول الله (ﷺ) يحذر قومه من المصابين والمجذومين والمرضى، فقال: فر من المجذوم كما تفر من الأسد.

وقال (ﷺ): «إذا وقع الطاعون بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا منها فراراً منه، وإذا وقع برض ولستم بها فلا تهبطوا عليها»، وهذا هو الحجر الصحي الذي يضرب على الأقطار التي بها وباء أو مرض سار، فالرسول (ﷺ) حذر المسلمين من العدوى، وحثهم على مراجعة الأطباء إذا ما مرضوا، وأخذ العلاج طلباً للشفاء، فقال: «إن الله أنزل الداء والدواء وجعل لكل داء دواءً».

كما حذر المسلمين من عاقبة الدجل والخرافات والأوهام التي كانت تسيطر على عقولهم وأودت بحياة الملايين منهم، فكافح هذه الشرور وحررهم من أتباعها، لأنها تؤدي إلى استعباد العقول وتقييدها بقيود تسوقهم إلى الهلاك والدمار، فوجه القوم إلى الطرق العلمية الصحيحة النافعة التي تؤدي بهم إلى الخير والشفاء، ولذا جعل تعلم الطب فرض كفاية عند المسلمين^(١).

(١) الديوه جي، سعيد، الخدمات الاجتماعية في الإسلام، ص ٣٠-٣٣.

ويجب أن يكون في الأمة من يعاني هذه الصناعة حفظاً لصحة المجتمع، وإذا ما فقد هذا العلم فإن الإثم يقع على كافة المسلمين الذين قصّروا في هذا، ولما كان عندهم من الأثر عن النبي (ﷺ) حيث يقول: «يا عباد الله تداووا فإن الله (ﷻ) لم يضع داءً إلا وضع له دواءً، إلا واحداً وهو الهرم»^(١).

وقد ورد في كتاب الطب النبوي روايات وأحاديث كثيرة. فمن الواجب على المسلم أن يعنى بنظافة جسده وثيابه، وأن يحسن معالجته ولا يرهقه في الأعمال التي تتعبه فوق طاقته، وتؤدي بإضعافه وهلاكه. قال رسول الله (ﷺ): «إن لجسدك عليك حقاً»، «والمؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف».

وورد عن الإمام الغزالي «الطب حفظ الصحة ومرومة العلة»، وقال الرازي: الطب: معرفة الداء وتوقيه بالدواء، وجاء أيضاً: العلوم ثلاثة: علم الدين لمعادكم، وعلم الطب لأبدانكم، وعلم الهندسة لمعاشكم. وقال الإمام الشافعي: «لا أعلم علماً بعد الحلال والحرام أنبل من الطب»، قال حرمله: «كان الشافعي يتلهف على ما ضيع المسلمون من الطب، ويقول: ضيعوا ثلث العلم». وقال ابت تيمية: «الأطباء وأهل الهندسة من أذكى الناس».

وأن خلفاءه اهتموا بهديه، وساروا على الطريق المستقيم الذي أرشدتهم إليه، فكانوا من دعاة العلم والمعرفة، كافحوا الدجل والخرافات، وسهلوا للقوم الاستفادة من علوم من سبقهم من

(١) الغزالي، الإمام أبو حامد محمد، إحياء علوم الدين، مصر، (١٢٢٦هـ/

الأمم، فأخذوا عنهم كل نافع ومفيد يؤدي إلى حفظ أبدانهم سالمة صحيحة امتثالاً لقوله (ﷺ): «العقل السليم في الجسم السليم».

يقول صاعد الأندلسي: عن اهتمام المسلمين بعلم الطب في صدر الإسلام: «إن العرب في صدر الإسلام لم تكن بشيء من العلوم إلا بلغتها ومعرفة أحكام شريعتها - حاشا صناعة الطب - فإنها كانت موجودة عند أفراد منهم غير منكورة عند جماهيرهم لحاجة الناس طراً إليها، وكان الطب في طليعة العلوم التي اهتم العرب بترجمة كتبه عن كثير من اللغات، وأول من كان له الفضل في هذا هو خالد بن يزيد بن معاوية المتوفى سنة (٨٥هـ/٧٠٤م)».

وفي خلافة مروان بن الحكم (٦٤-٦٥هـ/٦٨٤-٦٨٥م) نقل ماسرجويه البصري كناش (أهرون بن أعين) من اللغة السريانية إلى العربية وهو كتاب نفيس في بابه^(١).

ولمّا تولى الخلافة عمر بن عبد العزيز (٩٩-١٠١هـ/٧١٦-٧١٩م) وجد الكتاب في خزائن الكتب بالشام، ونظراً لما يحويه الكتاب من فوائد طبية فأمر بإخراجه وبثه بين الناس لكي ينتفعوا به^(٢).

ثم أقبل المسلمون بعد ذلك على الترجمة والتأليف حتى نمت وأثمرت في العصر العباسي، وبلغ اهتمام العباسيين بعلوم الحكمة، ومنها الطب، أن الخليفة المأمون (١٩٨-٢١٨هـ/٨١٤-٨٣٣م)

(١) محاضرات الراغب: ١ : ٢٠٢، ١٧ : ١.

(٢) ابن الجوزي، عبد الرحمن، سيرة عمر بن عبد العزيز، مصر، (١٣٣١هـ/١٩١٣م).

شرط على ملك الروم أن يبعث إليه بكتب الحكمة بدلاً من المبالغ الكبيرة التي كان يقدمها إليه جزية، وأرسل المأمون عدة وفود إلى بلاد الأناضول وقبرص وبلاد فارس ليجمعوا له الكتب المختلفة في الحكمة^(١) وقرب الخلفاء الأطباء وأغدقوا عليهم الهبات الكثيرة والهدايا الوافرة المتنوعة، وقلّما نجد خليفة إلا وله طبيب أو أكثر في قصره.

وذكروا أن ما كان يتقاضاه جبرائيل بن بختيشوع من الخليفة هارون الرشيد وأهل قصره يزيد على (٤) ملايين درهم في السنة^(٢).

وكان بختيشوع بن جبرائيل يضاهي الخليفة المتوكل في اللباس والفرش، وكان الخليفة المتوكل يجلس والطبيب معه على السدة، وربما جلس الطبيب والوزراء والأمراء والقواد وقوف، وكانت قصور بعض الأطباء بما فيها من مظاهر الترف والنعيم والأثاث والرياش ما لم يكن مثلها في قصور الخلفاء^(٣).

واقتردى بهم الأمراء والمتمولون في الأغداق على الأطباء للاستفادة من علمهم وتعميمه ونشره بين سائر الطبقات، حتى ذكروا الأمير سيف الدولة الحمداني (المتوفى سنة ٣٨١هـ/٩٩٢م)

(١) ابن أبي أصيبعة، أحمد، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، مصر، (١٣٢٩هـ/١٩١١م)، ص ١٦٣؛ الديوه جي، سعيد، بيت الحكمة، ص.

(٢) الديوه جي، بيت الحكمة، مصدر سابق، ص ٢٠-٢٤؛ ابن الفوطي، الديوه جي، خالد بن يزيد، دمشق، (١٣٧١هـ/١٩٥٢م)، ص ٢٠-٢٤، صاعد بن محمد الأندلسي، طبقات الأمم، مصر.

(٣) غوستاف لوبون، حضارة العرب، ترجمة عادل زعيتر، القاهرة، (١٣٧٥هـ/١٩٥٦م)، ص ٧٤.

كان إذا أكل وقف على مائدته (٢٤) طبيباً، وكان فيهم من يأخذ رزقين لأجل تعاطيه علمين، ومن يأخذ ثلاثة لتعاطيه ثلاثة علوم^(١).

كل هذا يدلنا على مدى اهتمام القوم بأمر الأطباء، وحرصهم على بث هذا العلم الجليل النافع بين سائر الطبقات.

ومن الأعمال الجليلة التي كان لهم فيها القدح المعلى هي الملاجئ الخيرية المختلفة التي أسسوها في مختلف البلاد، وتنافسوا في بنائها وأوقفوا لها الأوقاف المختلفة الكثيرة التي كانت ترصد لإدامة الملجأ والنفقة التامة على ما يلزمه من أثاث وقومة وضروريات، وهذه الأوقاف مصونة مرصدة على ما أوقفت له مهما تبدلت الأوضاع السياسية للبلد، فالوقف لا يبدل ولا يمس، لأن شرط الواقف كنص الشارع، والوقف يبقى مرصوداً على النفع العام الذي أوقف له^(٢).

وتنوعت الأوقاف على الملاجئ والمدارس ودُور الحديث ودُور القرآن والمكاتب والأربطة وخزائن الكتب ودُور الأيتام والمستشفيات المختلفة والجسور والقناطر وتعبيد الطرق وخانات السبيل ودُور الضيافة والآبار والمياه وغير ذلك من المرافق الأخرى، حتى أن بعضهم أوقف للقطط والكلاب والحمام والأسماك، وأن الإنسان ليعجب غاية العجب عندما يطلع على كثرة الأوقاف عند المسلمين وتنوعها وصرفها على الأمور العامة التي

(١) ابن جبير، محمد، رحلة ابن جبير، مصر، (١٣٥٦هـ/١٩٣٧م).

(٢) ابن أبي أصيبعة، مصدر سابق، ص ١٣٦-١٣٧.

تؤدي إلى رفاهية الشعب، وحفظ صحته وتعليم أبنائه وتذليل كل صعب^(١).

والكلام على هذه الملاجئ المختلفة يحتاج إلى بحث طويل وموسع، وسنعرض في بحثنا هذا على الملاجئ الصحية التي كانت عند المسلمين في القرون الوسطى والخدمات الكبيرة التي قدموها للمجتمع الإسلامي^(٢).

(١) المصدر السابق.

(٢) الغزالي، أبو حامد، إحياء علوم الدين، مصر، (١٢٨٢هـ/١٨٦٥م)، ص ١٦٦.

فهرس المحتويات

٥	تقديم الدكتور أبي سعيد الديوه چي
٧	المقدمة
١٥	الفصل الأول : المستشفيات الثابته
١٥	١) بیمارستان (المستشفى)
٢٢	٢) بیمارستانات السجن
٢٣	٣) بیمارستان المدرسة
٢٧	الفصل الثاني : مستشفيات العزل
٢٧	١) دور المجانين
٣١	٢) دور الزمنى
٣٥	الفصل الثالث : المستشفيات المتنقلة
٣٥	١) بیمارستان الجيش
٣٨	٢) بیمارستان السيل

٤١		٣	البيمارستان المحمول
٤٣		٤	بيمارستان الإسعاف
٤٥			الفصل الرابع: الملاجئ الخيرية
٤٥		١	دُور الحضانة
٤٩		٢	دُور العجزة
٥٢		٣	الأربطة
٥٥		٤	دُور العميان
٥٧			المصادر والمراجع